

ألف ليلة وليلة

للركنر الأحمر ضيف

هذا الكتاب هو أشهر الكتب القصصية في لغة العرب بل في جميع اللغات . فلقد قال بعض الباحثين من الأوربيين أنه لم يفتقه في شهرته غير « التوراة » لأنه أكثر الكتب قراءة وأوسعها خيالاً وأعظمها غرابة وأحفظها أسطورة وخرافة . لذلك ذاع امره في عالم الادب في الشرق والغرب فهو المثال الذي سار على نهجه كتاب العرب في قصصهم وشفف به الفرنجة فخا كوه في بعض حكاياته الأدبية ولكن أدباء العرب ومؤرخهم وصفوه بأنه كتاب « غث بارد » كما ذكر ذلك « ابن النديم » في « الفهرس » و « المسعودي » في « مروج الذهب » . ذلك لأنهم نظروا إلى عبارته وأسلوبه فرجدوا فيها كثيراً من الخطأ اللغوي والبياني فلم يرقهم ذلك . ثم رأوا ما فيه من مجون وأساطير مما لا يتفق مع التهذيب العقلي والنفسي فلم يضمن أحد منهم بالبحث عما فيه من مسائل فنية أدبية او صور نفسية او اجتماعية منبنة في كل ناحية من نواحيه ولا بما يظهر خلال أساطيره ومجونه من الحقائق الانسانية وسجايا الانسان وأخلاقه . فالصرفوا عن دراسته الصرافاً كلياً

ولم يكشف لنا عن غوامضه غير المستشرقين من الأوربيين فقد كتبوا فيه الكتب الكثيرة والرسائل القصيرة والطويلة . وترجمه الأدباء منهم الى لغاتهم . وقد ذكر كل ما كتب عنه وترجم منه البعانة البلجيكي فيكتور شوفان Victor Chauvin في كتابه فهرس الكتب العربية Bibliographie des Ouvrages Arabes فلأ من ذلك أكثر من مجلد من هذا الكتاب . والمباحث التي كتبت في « الف ليلة وليلة » كثيرة مذكور جلها في « دائرة المعارف الاسلامية » عند الكلام عليها . وقد كتب هذا البحث العالم الدانمركي « أستروب » - Oestrup الذي عني عناية عظيمة بدراسة هذا الكتاب وكتب فيه رسالة تقدم بها لامتحان الدكتوراه في « كوبنهاج » وطبعها باللغة الدانمركية عام ١٨٩١ . وهذه الرسالة تحسب من المباحث الجليلة . فقد ناقش فيها المؤلف الباحثين قبله في آرائهم . وقد ترجم ملخص ما فيها الى اللغة الفرنسية وطبع في مذكرات المجمع الفرنسي الشرقي للمباحث الآثرية بالقاهرة ضمن الجزء السابع والعشرين عام ١٩١٢ Memoires publiés par les Membres de l'Institut Français d'archéologie Orientale du Caire. Tome vingt-septième ومن المباحث الجليلة أيضاً رسالة « فيكتور شوفان » المسماة

La Recension Egyptienne des Mille et une nuits المطبوعة في مدينة بروكسل سنة ١٨٩٤.

وسمى البحث المتع الذي كتب في «دائرة المعارف الإسلامية» و«دائرة المعارف البريطانية» وهناك مباحث كثيرة لبعض العلماء من الإنكليز والألمان والفرنسيين والروسين وغيرهم مما لا يسع المقام ذكره فقد كتب بعضها في مجلات وبعضها في رسائل صغيرة وكلها أو جلها مذكور «في دائرة المعارف الإسلامية». وقد كان للمجادلات التي دارت بين «شوقان - واستروب» فضل عظيم في الكشف عما تحويه «ألف ليلة وليلة» من مسائل تاريخية وفنية دونت في الكتابين السابقين ﴿ أصل الكتاب وآراء الباحثين فيه ﴾ عند ما ذاع ألف ليلة وليلة في أوروبا قبل على دراسته علماء الأدب والتاريخ من المستشرقين وغيرهم وأول بحث ظهر في ذلك كان للمستشرق الفرنسي الشهير «سلفستردى سامي Sylvestre-de-Sacy» في سنة ١٨١٧ وقد استمر في بحثه إلى سنة ١٨٣٣ فكتب كثيراً من المباحث في موضوع هذا الكتاب وأصله وسار على أثره في ذلك غيره من المستشرقين وقد استشهد الباحثون في مباحثهم بعبارة المسعودي الواردة في كتابه «مروج الذهب» أثناء كلامه على «أرم ذات العباد» إذ قال: «وسبيلها سبيل الكتب المنقرلة البينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية». وسبيل تأليفها ما ذكرنا مثل كتاب «هزار افسانه» وتفسير ذلك من الفارسية إلى العربية ألف خرافة. والخرافة بالفارسية يقال لها افسانه، والناس يسمون هذا الكتاب «ألف ليلة وليلة» وهو خير الملك والوزير وابنته وجارتيهما. وهما «شيرا زاد ودينا زاد». ومثل كتاب «مرزة وشيخ» وما فيها من أخبار ملوك الهند والوزراء. ومثل كتاب الصلحاء وغيرها من الكتب في هذا المعنى»

واستند الباحثون أيضاً على عبارة «ابن النديم» التي قال فيها: «أول من صنّف الخرافات وجعل لها كتباً وأودعها الخرائن وجعل بعض ذلك على السنة الحيوان القرم الأول ثم اغرق في ذلك ملوك الاشغانية وهم الطبقة الثالثة من ملوك الفرس. ثم زاد ذلك واتسع في أيام ملوك الساسانية ونقلته العرب إلى اللغة العربية وتناولوا العطاء والبلقاء فهدبوه وتمتقوه وصنّفوا في معناه ما يشبه وأول كتاب عمل في هذا المعنى كتاب «هزار افسانه». وكان السبب في ذلك أن ملكاً من ملوكهم إذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من القد فتزوج بجارية من اولاد الملوك ممن لها عقل ودراية يقال لها «شهر زاد» فلما حصلت معه ابتدأت تخرفه وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على احتبائها ويسألها في الليلة الثانية عن تمام الحديث إلى أن أتى عليها ألف ليلة وإلى إن زومت منه ولذا أظهرته وأوقفته على حبستها عليه فاستعملها ومال إليها واستبقاها»

هكذا يروون السبب في أصل هذا الكتاب. ولكن الباحثين اختلفوا في ذلك لعدم وجود برهان قاطع على ما في كتابي «المسعودي» و«ابن النديم». ولقد اضطرت أقوالهم في ذلك حتى لقد كان يرى أحدهم الرأي ثم يرجع عنه كما فعل (دي سامي) في مباحثه فقد ظن أولاً أن

هذا الكتاب كتب بقلم كاتب واحد في العصر العباسي الاول ثم رجع عن هذا الرأي وقال انه كتب بعد ذلك . ثم زيدت عليه حكايات وأنه عربي بسيم ليس فيه شيء هنسي ولا فارسي ورأى المستشرق الألماني « همر von Hammer » غير ما رأى ددي ساسي « واضمن قول « المسعودي » من ان أصل الكتاب فارسي ثم ضمت إليه حكايات هندية ويونانية وعربية وان الحكايات العربية دخلت ضمن القصص الاخرى حول اسم « هارون الرشيد » ومن مآثره وان ابتداء في تأليف هذا الكتاب كان في زمن الخليفة « المنصور » ورأى بعضهم أنه كُتِبَ زمن العباسيين على أثر انتشار أخبار الفرس وحكاياتهم على ألسنة العامة ثم زيدت عليه قصص اخرى في أماكن وأزمان مختلفة وقد بلغ الاضطراب في آراء هؤلاء الباحثين ان نرى بعضهم بكل أثر فارسي أو هندي في هذه القصص كما رأى ذلك العالم الانكليزي « لين Lane » الذي قال أنه كتب بقلم كاتب واحد بين سنة ١٤٧٥ - سنة ١٥٢٥ ميلادية . بل رأى بعضهم أن بعض قصصه مأخوذ من « الأوديسي » لهوميروس الشاعر اليوناني القديم وضرب لذلك مثلاً بقصة « السندباد البحري » (راجع :

Homère et les Mille et une nuits, par Victor Chauvin, extrait du Musée belge.

Revue de philologie classique.

وتسم « مولر Müller » الألماني الكتاب أقساماً : فبدأ منه كتب في بغداد والقسم الاكبر كتب في مصر . وتوسع في هذا التقسيم « فولدك Noldeke » وحدد كل قسم منها وجاء البعثة استروب فجعل أقسام الكتاب ثلاثة : الاول يحتوي على القصص التي أخذت عن الاصل الفارسي « هزار افسانه » . والثاني قصص كتبت في بغداد . والثالث قصص اضيفت الى ذلك وكتبت في مصر . وقال ان هناك حكايات اخرى عربية أدخلت في الكتاب مثل حكاية « عمر بن النعمان وأولاده » وقد بحث هذا التقسيم وتوسع فيه المستشرق البلجيكي شوفان الذي سبق ذكره في كتابه السابق . وقال : « ان ما كتب في مصر كتب تماماً منه جماعة من الاسرائيليين الذين اعتنقوا الاسلام » وقسم كتبه « ملون »

ولا يسعنا ان نذكر كل آراء الباحثين ذكراً مفصلاً لكثرتها وتشعبها . ولا شك في ان لهذا الكتاب أصلاً فارسياً وهندياً نقل الى اللغة العربية في القرن الثالث الهجري كما يقول الباحثون فقد لاحظوا عند مقابلة الكتاب العربي بالكتاب الفارسي « هزار افسانه » أو ببعض القصص الهندية المعروفة أن كثيراً من القصص العربية هي عينها تلك القصص الاصلية مع تغيير ضئيل اقتضاه النقل وعبث الرواة والكتاب والناقلين من العامة والخاصة . وان ما حصل من اختلاف كان في بعض الصور والاسماء القديمة التي استبدل بها غيرها من الصور والاسماء العربية . هذا فيما عدا ما كتب في مصر وبغداد

فن علامات القمصن الفارسية أو الهندية التي ترجمت إلى العربية احتواؤها على أسماء فارسية مثل « شهر زاد » و « شاه زمان » وغيرها ، ومثل الكلام على النساء وخيانتهم لأزواجهم وما في ذلك من المكر والظداح والحيل القريبة والاساطير الكثيرة والاختلة العجيبة التي تحسب من صور العقل الفارسي أو الهندي . مثل ما جاء في حكاية قمر الزمان : « ثم دقت بكفها الأرض فطلع منها عفرت أعور أحذب أجرب وعيناه مشقوقتان في وجهه بالظنل وفي رأسه صبعة قرون وله أربع ذوائب من الشعر مسترسلة إلى كعبه ويداه مثل المداري ورجلاه مثل الصواري وله أظفار مثل أظفار الأسد وجوافر مثل جوافر الحمام الوحشي » ص ١٨٨ طبعة بيروت ج ٢ ومثل هذا كثير في هذه القمصن . ويظهر أنها لم تنقل إلى العربية بنصها الأصلي بل أدركها تغيير وتبديل وزيادة وحذف فدخلت فيها عبارات إسلامية وآراء دينية كما جاء في قصة الملك شهرمان وابنه من مثل العبارات الآتية : « فقال له ذلك الوزير لعلى الله يحدث بعد ذلك أمراً . فتوكل على الله أيها الملك وابتهل إليه . فقام الملك وتمضاً وصلى ركعتين ودعى الله تعالى بنية عداقة » . وكما جاء في هذه القصة : « ثم قام وتوضأ وصلى المغرب والعشاء وجلس على السرير يقرأ القرآن فقرأ البقرة وآل عمران ويس والرحمن وتبارك الملك والاخلام والمعوذتين وختم بالعشاء » (حكاية قمر الزمان والصفريثة الميمونة الجزء الثاني طبع بيروت) وفي هذه الحكايات ما يشهد ما في القمصن الهندية في أسلوبها وموضوعاتها مثل حكاية التاجر انعارف بلغة الخيران ومثل قصة نوزراء السمعة والتاجر والحني وقصة العائث والحني . قالوا ومن أساليب القمصن الهندية تسلسل الحكايات ودخول بعضها في بعض وذكر القصة لاهاء السامع ومنعه من الوصول إلى الغرض وذكر العبارات الآتية : « يترك الأتعقل هذا حتى لا يحمل لك مثل ما حصل لنلاذ » . وكالعبارات المكررة كثيراً في هذه القمصن وهي سؤال رجل لآخر « فكيف كان ذلك ؟ » فهذه أساليب هندية يقولون أنها في القمصن المنتشرة بين العامة . ويستدلون على ذلك بأن أصل هذه القمصن المنقولة إلى العربية هندي أو فارسي زيدت عليه صور أخرى من الحياة العربية الإسلامية

﴿ القمصن المصرية ﴾ قد يجد القارئ المصري لبعض قصص « ألف ليلة وليلة » تشابهاً بينها وبين ما هو مأخوذ من أصناف احاديث العامة أو الخاصة وما هو معهود من اخلاق وطادات مصرية : سواء كان ذلك في الاحوال الاجتماعية ، أو النفسية . ولقد تكون هذه القمصن مكتوبة بأسلوب عربي مصري ، أو لهجة مصرية ، وهذا ما يحمل على التصديق بأن هذا الكتاب قد احتوى على قصص مصرية ، كتبت في مصر ، بأقلام كتاب مصريين وتمتاز هذه القمصن بصفات منها ان موضوعاتها ليست خيالية بحتة ، بل مأخوذة من الحياة العامة المصرية وان ليس الغرض منها جذب القراء إليها بما فيها من الفرائب والمجائب التي لا يصدقها إنسان طافل كما في القمصن الفارسية أو الهندية المملوءة بالاساطير والخرافات

ومنها ان الكاتب يعتمد فيها على ما في نفسه من اثر الحوادث التي شاهدها في حياته ورسوم الاشخاص الذين عرفهم وراهم وانه اذا وجد شيء من الاساطير فانه يكون بقدر الحاجة ومن صفات هذه القصص ان الاشخاص الذين فيها هم جميعاً ممن يعيشون بكدهم ولا تكاد تجد بينهم من ساعدتهم الحظاً فأصبحوا من الاغنياء او نكبتهم الايام فصاروا من الاشقياء لانهم يعتمدون على المعادلات. لهذا تعجب الكاتب كثيراً ما يتكلم عن الصناعات . ويذكر رجالاً من انتجار يتكلم عن تجارتهم وصلاحهم كما في قصة «الاحدب» وكما في الكلام على «ابو قير» ومصيفته «ابو صير» وحمامه وغير ذلك. ومن هذه القصص قصة «معروف» الاسكافي المشهورة . وبمناسبة ذلك قال بعض الباحثين ان غير القصص المصرية مملوءة بالخيال والمبالغة والآثرة او حب النفس وانها عبارة عن حلم شعب خمول يود ان يعثر في اثناء فنتحه على المعادن والجواهر ليصبح من الاغنياء ومن صفات القصص المصرية ان شخصية الكاتب فيها ظاهرة فمثل نفسه وكأنه يدوس موضوعاً شاهده فهو يتوسع في شرحه

ومنها ان اكثر هذه القصص قصيرة وان العبغة المصرية ظاهرة فيها : من فريضة وقد حلو

وخفة روح

ومن اعظم مميزات ان كاتبها طارق بالافتنان والاساليب القصصية عالم بكيفية سرد الحوادث كما قال العالم الالماني «كرامر» وكما يرى في قصة معروف الاسكافي وعلى الجوهرى وقصة التاجر علي المصري والتاجر حسن الجوهرى وقد لاحظ الباحثون ان القصص المصرية كثيراً ما تتشابه في الحوادث والموضوعات ووجدوا ان في بعضها اطراف للمرأة المصرية كما في الكلام على قر الزمان وهناك مميزات اخرى تظهر للقارىء في اثناء قراءته فيشعر بانها كتبت بأقلام مصريين وحقول مصرية

﴿القصص الاسرائيلية المصرية﴾ تمتاز القصص الاسرائيلية التي كتبها اسرائيليون مصريون

قد يكون بعضهم اعتنق الاحلام بأشياء

منها: ذكر الاسماء والاماكن العبرية كسليمان وداود وآدم وبيت المقدس وذكر المسائل التاريخية العبرية كوصف الارض وارتكازها مما اخذ من كلام وهب بن منبه وكبحارية العفاريث بعضها بعضاً ونحوال الانسان الى رماد وحكاية الشرير الذي اختطف رجلاً وطار في الهواء فأصابته ضربة من حربة ملتهبة ارجلت اليه من الملائكة . وكالقصة التي ذكر فيها : ان اعرايياً زار هاروت وماروت اللذين كانا مسجونين في بئر في بابل . فلما رأى طولهما المنظم العجيب فزع من هذا المنظر فذكر الله تعالى فانطوى جسمها وصار على شكل مربع وكان يرافقه العربي في هذه الزيارة يهودي . وقد رأى بعض الباحثين ان الغرض من امثال هذه الحكايات الحكم بالمسلمين

ومن اشهر الحكايات الاسرائيلية : حكاية « بلوقيا » المذكورة ضمن قصة «حاسب كريم الدين

ابن دنيال الحكيم، إذ يظهر أن كاتبها وقف على قسط وافر من الاساطير الامرائيلية كذكر الحياة وأزهارها والسعي في الحصول على غاتم سنيان وذكر الفرائب والمعجائب . فمن امثال ذلك ان الله خلق جبلا قدره مسيرة خمسمائة عام وهو من الثلج والبرد وهو الذي رد حر جهنم عن الدنيا : ولولا ذلك الجبل لآحترقت الدنيا من حر جهنم وان الارض سبع طبقات يحلها ملك وتحت الملك صخرة وتحت الصخرة ثور وتحت الثور حوت والحوت في بحر تحته هواء وتحت الهواء نار وتحت النار حية عظيمة ولولا خوف الحية من الله لماتى لا تبليت جميع ما فوقها وان الحية فتحت فاما فأدخلت جهنم في بطنها وقيل لها احفظي جهنم الى يوم القيامة . فاذا جاء يوم القيامة امر الله الملائكة ان يأتوا ومعهم سلاسل يقيدون بها جهنم الى الخشر (راجع القصة في الجزء الثالث من ألف ليلة وليلة صفحة ١٢٠ من طبعة بيروت)

ومن اساطير هذه القصص الامرائيلية انه لما توفي سليمان عليه السلام وضعوه في تابوت وعدوا به سبعين حجراً وكان الخاتم في اصبعه ولا يقدر احد من الانس ولا من الجن ان يأخذ هذا الخاتم... وان وجد في بعض الكتب ان بين الاعشاب عشبا كل من اخذ منه شيئا وعصره واخذ مائه ودهن به فدميه فانه يمضي على ابي بحر خلقه الله تعالى ولا تبطل قدماءه ولا يقدر أن يحصل انسان على هذا المشب الا اذا كانت معه ملكة الحيات وثمة كثير من هذه الاساطير الامرائيلية . ومن الادلة على انها امرائيلية وان كاتبها امرائيلي مصري انه جاء في هذه القصة ان « بلوقيا » عندما دخل بيت المقدس كل يقرأ في التوراة وقد سئل عن اسمه فقال « بلوقيا » وانه من مدينة مصر . هذا ورغم كل هذه الجهود التي بذلها العلماء في البحث في هذا الكتاب لا يزال اسمه مجهولاً ومؤلفه مجهولاً والزمن الذي كتب فيه مجهولاً ايضاً

ولقد يلتمس الانسان عذراً لبعض الباحثين الذين قالوا ان الكتاب حديث العهد بالتأليف فان حكاياته على اختلافها في الموضوعات متشابهة الاسلوب في جلها حافلة بروح العامة من الكتاب المسلمين خاصة بلهجاتهم . وقد يكون اكثر هذا الروح انتشاراً هو الروح المصري والغالب على ظننا ان « هزار افسانه » الذي يقولون انه اصل هذا الكتاب ذاع امره بين العامة في العصر العباسي ولم تنشر النسخة الاسلية منه كما نشرت « كلية ودمنة » وغيره

ثم اعجب الناس بما نشر من تلك الاحاديث لغرائبها وانتشرت في المجالس والمحافل وزاد عليها الفرس والبنالون من المتجولين في بعض المدن الخليفة كالمثل الذي كتب كتاباً اختار فيه ألف سمر من اثمار العرب والمعجم والروم وغيرهم . واحضر السامريين فأخذ عنهم احسن ما يعرفون ويحسنون »

ولعل الكتاب كتب اولاً بعبارة صحيحة ثم تناوله الناس وغيروا وبدلوا فيه وضافوا اليه كثيراً من احاديثهم وحكاياتهم العامة ليكون لوقع في نفس العامة فظهر على ما هو عليه الآن